رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تعليقات على كتابي[1]

«العقيدة والشريعة في الإسلام»

«مذاهب التفسير في الإسلام»

تأليف «جولد زيهر»

يهودي مستشرق شرق بظهور الإسلام وبهره ضياؤه حتى غشى في ظلمات حقده وغياهب ضلاله، فذهب يفتري على الإسلام وعلى رسول الله الكريم بمفتريات حاقدة وأضغان قاتلة في كتابيه «العقيدة والشريعة في الإسلام» و «مذاهب التفسير في الإسلام».

ولقد كنا في غنى عن نبش أحقاد هذا اليهودي ومفترياته على الإسلام ونبيه، لولا أن بعض الكتاب مدح كتابه «مذاهب التفسير» وأشاد به وقال: إن نفعه أكثر من ضرره.

فأردت أن أذكر نماذج من كتابيه تدل المنصف البصير على إغراق هذا اليهودي في عداوة الإسلام وعدم التزامه حافة الإنصاف والعدل فيما ذكر عن الإسلام في كتابيه.

وحسبي ما أذكر من النماذج دلالة على سائر خبث ذلك الرجل الممتلئ قلبه بصديد البغض للحق والافتراء عليه، والبهتان والزور على دين الله الذي أرسل الله به رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

وحسبي في ذلك اليهودي قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ٨- ١٠].

---

(١) مجلة المنهل – محرم – ١٣٧٩هـ (السنة: ٢٤).

نموذج (أ):

قال: «ذلك أن الإسلام كما يبدو عند اكتمال نموه هو نتيجة تأثيرات مختلفة تكون بعضها باعتباره تصورًا وفهمًا أخلاقيًّا للعالم وباعتباره قانونيًّا وعقيديًّا حتى أخذ شكله النهائي وعلينا كذلك أن نتحدث عن التيارات التي أثرت في اتجاهات نهر الإسلام؛ لأن الإسلام ليس مذهبًا واحدًا بل حياته التاريخية تتأكد فيما نشأ فيه من اختلافات». اهـ.

وأجابه ناشروا كتابه بقولهم: يجعل الإسلام كسائر الأنظمة تطورًا وتدرجًا من طريق النقص إلى الكمال في عقائده وفقهه وغير ذلك، والإسلام كمل في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، بما جاء فيه من مبادئ وأصول وتفريع عليها، وما دخل عليه من دخيل من اليونان وغيرهم إن لم يوافق مبادئه فإن المسلمين ينبذونه ويهجرونه ولا يعد هذا الدخيل في الإسلام، وليس بصحيح ما ذكره فيما بعد؛ تأثر فقهه بالقانون الروماني.

وما تأثر به العباسيون في الأنظمة السياسية من قوانين الفرس فما خالف الحياة الإسلامية كان نقمة ووبالًا عليهم، ولنقرأ في كمال الدين في عصر النبوة قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قلت: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. وقوله: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٠-٩١].

نموذج (ب):

قال (ص ٥ – س ٧): «ويبين ذلك، أي تطوره، إذا عرفت أن نمو الإسلام مصطبغ – نوعًا – بالأفكار والآراء (الهيلينية)، ونظامه الفقهي الدقيق يشعر بأثر القانون الروماني...

إلى أن قال (س ١٥): فمحمد لم يبشر بدين جديد من الأفكار، كما لم يحدث أيضًا بجديد فيما يتصل بعلاقة الإنسان بما هو فوق حسه وشعوره باللانهاية.

إلى أن قال (س ٢٣): فتبشير النبي ﷺ العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من عناصر وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرًا عميقًا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقة عند بني وطنه، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في رأيه كذلك ضرورية لتثبيت ضرب من الحياة في الاتجاه الذي تريده الإرادة الإلهية».

ورد عليه المعربون فقالوا: والرسول عليه الصلاة والسلام قد جاء على فترة من الرسل وغواية وعمي من الأمم، والناس في شرك وعبادات باطلة فهدى الناس وسن لهم الله على لسانه الهدى، كما أوحى إليه ما كان فيه شفاء لهم وإخراج لهم من الظلمات إلى النور.

وأقول: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾

[المائدة: ١٩]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾.

[المائدة: ١٥، ١٦]

وإذا كان الرسول الكريم المؤيد من الله قد استقى دينه - كما زعم هذا المفتري - من مصادر يهودية ونصرانية فلماذا لم يقع في أغلاطهم؟! بل بين ضلالهم وأغلاطهم وكذبهم على الله وعلى أنبياء الله تعالى وفضحهم في كتابه.

وكيف جاء الشرع المستقي المقلد أرقى من أصله ومنبعه بما لا يقاس بمراحل؟! ولماذا أسلم المنصفون من أهل الكتاب من يهود ونصارى واعترفوا بأن هذا هو الرسول الذي بشرت به أنبياؤهم وكتبهم؟!.

وهذا هرقل قيصر الروم يقول: وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، ولو أعلم أني أصل إليه لغسلت عن قدميه، ودعا الروم إلى الإيمان به ليفلحوا ويبقى لهم ملكهم فأبوا عليه حمية جاهلية وعصبية عمياء.

وكذلك شهد له المقوقس ملك مصر والنجاشي ملك الحبشة وأسلم وآمن به بعض اليهود. فأين كانوا من هذا المفكر الضال والرأي الخامج الذي جاء به هذا المفتري البغيض؟!.

وقال المعربون: رمى (جولد زيهر) النبي ﷺ هنا وفي مواضع أخرى بأنه استقى معارفه من المصادر اليهودية والمسيحية، وقديمًا نطق بهذه الفرية المعاصرون لرسول الله ﷺ ورد عليها القرآن بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾.

[النحل: ١٠٣]

أقول: وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

[الفرقان: ٥، ٦].

(١) (جـ) (ص ٦ - س ٤): قال جولد زيهر: «لقد تأثر - يعني النبي ﷺ - بهذه الأفكار تأثرًا وصل إلى أعماق قلبه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات

---

(١) تتمة مقال «تعليقات على كتابي «العقيدة والشريعة في الإسلام» و«مذاهب التفسير في الإسلام» لجولد زيهر. مجلة المنهل - صفر - ١٣٧٩هـ.

الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهيًّا فأصبح بإخلاص على يقين بأنه أداة لهذا الوحي.

لا نريد أن نتتبع خطوة خطوة المراحل الباثولوجية التي نشأ فيها الشعور بهذا الوحي واعتقاده وتثبيته في نفسه، ومن أجل هذا علينا أن نذكر كلمة ذات معنى قالها (هارتاك) عن الأمراض التي تصيب الرجال الذين فوق البشر دون سواهم والتي يشتقون منها حياة جديدة كانت قبل ذلك مجهولة، كما يتخذون منها قوة تهدم جميع العقبات، ومن ذلك حياة النبي ﷺ أو الحواري». اهـ.

وأجابه معربو كتابه في حاشية (ص٦) بقولهم: وقد علل هنا إيمان النبي بنبوته تعليلًا ركب فيه حظه من المعرفة التي لا تسمو عن المادة ولا تعدو المحسوس، وهو بذلك مجانب للإنصاف ومتسنم غارب الاعتساف، ثم يشير إلى عدم إمكان الوحي وأن أمر الأنبياء مسألة نفسية ترجع إلى تشبع المرء بحالة خاصة من فرط استغراقه فيها، والمؤمنون بالرسل على غير هذا.

قلت: وقديمًا رمى المشركون رسول الله ﷺ بالجنون أو الجنة فأجابهم الله بقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

وقال: ﴿ نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ [القلم: ١- ٣]. وقال: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٣٢ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٢٩- ٣٤].

وقال: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥، ٦].

فالمجنون محله البيمارستانت ومستشفيات الأمراض العقلية حيث يسلسل ويغل ويعبث فسادًا فيما تصل إليه يده، أما رسل الله فهم شموس

هداية عباد الله وأدلاء طرق الخير والصلاح وقادة قافلة المفلحين إلى خير الدنيا والآخرة: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

(د) (ص٧ – س ٦): قال: «وفي خلال النص الأول من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارًا أخذ يجترها في قرارة نفسه، وهو منطو في تأملاته أثناء عزلته وليل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة والتي يلمح فيها أثر حالته المرضية».

إلى أن قال (س ٢٤): «وأخذ يقضي وقته في الخلوة في الغيران المجاورة للمدينة – مكة – حيث كان يهنأ للأحلام القوية والرؤى الدينية، وتملكه شعور بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئًا فشيئًا ليذهب إلى قومه منذرًا إياهم بما يؤدي لهم ضلالهم من الخسران المبين بكلمة واحدة، أحس بقوة لا يستطيع لها مقاومة تدفعه إلى أن يكون مربيًا لشعبه – أي منذره ومبشره» اهـ.

وهذه فرية كسابقتها سبق لنا ردها كما سبق لمعربي الكتاب نسفها وإبطالها.

وحسبنا رد الله في رد ضلال منكري نبوته بقوله: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٦]، ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥].

وهذا اليهودي من قبيل من قال الله فيهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وممن قال فيهم: ﴿وَمَا تُغْنِي

ٱلْآيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦]. ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠].

(هـ) (ص ٨ – س ١): قال في بدء رسالته: «كانت تأملاته تأخذ طريقها إلى الخارج في شكل أمثال مضروبة للحياة الأخرى، وتفاصيل كل ذلك كانت تتمثل في رؤاه الانجذابية في أشكال مروعة مخيفة» (ص ١٨ – س١٦).

وقال في (ص ١٤ – س ١٥): «ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدم فيها محمد الصور التي أوحتها إليه حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي تلقائي ذاتي».

وقال (ص ١٨ – س ١٦): «بينا نرى محمدًا يسرد في الأولى – السور المكية – رؤاه الكشفية الإلهامية في فقرات مسجوعة متقطعة وفق صوت قلبه المحموم، نرى الوحي في الثانية – السور المدنية – يتخذ نفس الشكل كشخص مجرد من اندفاعه وقوته.... إلخ».

وذكر في (ص ١٤) أن الرسول غير طابعه وأسلوبه في المدينة عنه في مكة، ففي مكة كان يشعر أنه نبي متمم برسالته سلسلة رسل التوراة، وأنه لهذا عليه مثل أولئك الرسل؛ أن يقوم بإنذار أمثاله في الإنسانية وإنقاذهم من الضلال.

أما في المدينة وقد تغيرت الظروف الخارجية فقد تغيرت مقاصده وخططه واتجهت اتجاهًا آخر بحكم تلك الظروف الخارجية... إلخ».

ورد عليه معربو كتابه: وهذا غير صحيح فما زال حتى توفاه الله يتفق مع من سبقه من الأنبياء في الأصول العامة للدين من التوحيد وغيره، واختلاف الفروع لا يعد خلافًا.

ويذكر المؤلف أنه يدعو إلى إصلاح دين إبراهيم وتطهيره فيما حاق به، وهذا حق في الأصول العامة، أما الفروع فهل يستطيع المؤلف أن يثبت هذا؟ وهل كيفية العبادات وأنظمتها في الإسلام كانت في عهد إبراهيم؟!

يبدو من المؤلف الاضطراب في هذه الناحية، فالنبي مرة عنده خارج على الأنبياء وهو مع هذا لم يأت بدين جديد بل أتى بدين إبراهيم.

وذكر في (ص ١٤ – س ١٥) أن القرآن تغير أسلوبه في السور المدنية عنها في المكية.

قال: «ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدم فيها محمد السور التي أوحتها إليه حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي تلقائي ذاتي، وهو في هذا العصر لا يسمع صلصلة سيفه ولا يتحدث إلى محاربين أو رعايا مسالمين...».

إلى أن قال: «ولكن حمية النبوة وحدتها أخذت في عظات المدينة والوحي الذي جاء بها تهدأ رويدًا رويدًا، وحيث أخذت البلاغة في هذا الوحي تصبح ضعيفة شاحبة، حتى لقد صار أحيانًا في مستوي النثر العادي، وكان من ذلك أن رأينا حياته الخاصة في جليل شئونها ودقيقها تدخل في نطاق الوحي الإلهي الصادر إليه».

ورد عليه معربوه بقولهم: ذكر أن السور المكية تمتاز في البلاغة وفنون القول عن السور المدنية. وهذه شنشنة يدأب عليها المستشرقون، ولا علم لهم بوجوه البلاغة وأساليب الكلام، وقد جاء كله حسب مقتضيات الأحوال قرآنًا عربيًّا غير ذي عوج.

وأقول حسبنا في رده قول الله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد تحدى فصحاء العرب وفرسان البلاغة أن يأتوا بسورة من مثله – مدنية كانت أو مكية– فعجزوا، وسجل عليهم هذا العجز بقوله تعالى: ﴿ وَإِن

كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

(ز) (ص ١٧ - س ١): قال اليهودي: «وقد ساهم في تكوين عناصر هذه المذاهب - يعني الإسلامية - قواعد الدين اليهودي والدين المسيحي سواء، وتفاصيل هذه المساهمة والاشتراك لا محل للحديث عنه هنا». اهـ.

ورد عليه المعربون بقولهم: ليت شعري ماذا يريد بهذا الكلام المبهم؟ فهل يريد أن في الإسلام صلاة كما فيهما صلاة؛ ولكن أفلا يعلم أن الصلاة في الإسلام غيرها فيهما؟ وكذلك الصيام والزكاة.

وإذا أحس الكاتب اليهودي مطالبة القارئ له بالبيان يفر من الميدان بدعوى أن المقام ليس للإفاضة في هذا الحديث، ولكن المقام كان غنيًّا عن الرجم بهذه الدعوى والرمي بهذا الفند - أي البهتان.

(ح) (ص ١٦ - س ٢): قال: «وهو - يعني القرآن - في مجموعه مزيج من الطوابع المختلفة اختلافًا جوهريًا والتي طبعت كلًّا من العصرين الأولين من عهد طفولة الإسلام».

وردوا عليه بقولهم: القرآن وحدة تامة لا تدافع فيه ولا تضارب: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] - ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١] - ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣] - ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٥- ١٠٩] - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣] - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ

إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٢- ٥٥].

وكان علينا أن نعرض عن لغو هذا الأفاك وهرائه لولا أن بعض الجهال مدحه وأشاد به كما سيأتي.

(ط) (ص ١٣- س ٤): قال: «فتحريف الوحي القديم وغموضه اللذان أصبحا مناط شكواه صار لهما منذ ذلك الوقت أهمية كبيرة في تكوين فكرته عن رسالته النبوية، وما تتطلب من واجبات ذلك، إن بعض الذين مالوا عن دينهم الأول والذين كانوا يرغبون في مرضاته قد قالوا فيه: إن أنصار الدين القديم كانوا قد حرفوا الكتاب وأنهم أخفوا البشارات التي جاء بها أنبياء التوراة وأنبياء الإنجيل عن ظهوره في المستقبل، وهذه الشكوى ترى جرثومتها في القرآن..... إلخ».

وردوا عليه بقولهم: وماذا كان مع الرسول من أسباب السلطان والرغبات؟! هذا اتهام من الكاتب لم يبرهن عليه؛ اتهام للرسول واتهام لمن آمن به واتبعه من غير دليل.

(أقول): هذا النجاشي ملك الحبشة وعنده ضعفاء المسلمين الفارين من ظلم المشركين بمكة يقول: حينما قرءوا أول سورة مريم وفيها اعتراف بعبوديته لله ورسالته وولادته من مريم العذراء بلا أب.

يقول النجاشي: ما زاد عيسى على ذلك ولا بقدر هذه القشة؛ أخذها من الأرض، ويقول: هذا والذي جاء به موسى يخرج من مشكاة واحدة.

وهذا هرقل قيصر الروم بعد ما سأل أهل مكة حينما كانوا تجارًا بالشام- وكانوا حينئذ مشركين معادين للرسول- فسألهم عن أوصافه ثم قال: قد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه فيكم، ولو كنت أخلص إليه لغسلت عن قدميه، ثم دعا قومه الروم إلى مبايعة هذا النبي ليفلحوا ويسلم لهم

ملكهم فأبوا عليه ليجعلهم الله غنيمة للمسلمين فيما بعد.

وهذا ورقة بن نوفل المتنصر من أهل مكة حينما سمع أول القرآن سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] قال: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، ليتني أكون فيها جذعًا حين يخرجك قومك وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

فقال له النبي ﷺ: «أَوَمخرجي هم؟» قال: نعم، ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي[1].

فيؤمن به ورقة الذي كان يعرف الكتاب العبراني مع علمه بأن قومه سيخرجونه ويعادونه ويتمنى أن يعيش لذلك اليوم حتى ينصره نصرًا مؤزرًا.

وهذا المقوقس ملك مصر لم ينكر نبوته ولا بشارة الكتب السابقة به، ورد على رسوله ردًّا جميلًا وبعث إليه بهدية من هدايا مصر.

(ي) (ص ١٨ - س ٤): قال: «وهنا الركن الأخير - يعني الحج - احتفظ به محمد عن الوثنية لكنه جعله متفقًا والتوحيد، وعدل معناه مسترشدًا في ذلك ببعض الأساطير الإبراهيمية». اهـ.

وأجابوه بقولهم: قوله: «الأساطير الإبراهيمية» من أدب المؤرخ أن لا يضني على الحوادث عقيدته الخاصة وإنما يذكرها كما حدثت، ويذكر البواعث عليها ويدع الحكم فيها، ولكن الكاتب لا يلتزم هذا الأدب. فعزو الحج في أساسه إلى إبراهيم أمر جاء به الإسلام، فعلى الكاتب أن يدون هذا فحسب ولا يعرض لكون هذا أسطورة أو حقًا صراحًا، فإن عرض شيء من ذلك فليكن عند يقينه به ووقوفه على الدليل عليه، وترى هذا الأمر وهو خلع العقيدة الخاصة للكاتب مثبتًا في أثناء الكتاب في مواضع متعددة». اهـ.

أقول: وماذا يرجو المعربون من كاتب كتب كتابه ليحضر به مؤتمرًا عقد بأمريكا لتاريخ الأديان فيتملق به الصهيونية الأمريكية التي لعلها هي التي نظمت هذا المؤتمر للتشويش على المسلمين والإسلام الذي غاظهم ظهوره

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

ونجاحه وغصهم ازدهاره وقيامه بالنصيب الأوفر في تقدم الحضارة وخدمة الإنسانية، ومتى كان كاتب يهودي مستشرق يتملق الصهيونية خائنًا للإنصاف ومتحليًّا بالأدب مع دين يشرق بريقه حينما يرى نوره وضوءه للعالم.

(ك) (ص ١٨ - س ٧): قال اليهودي: «وكذلك بعض عناصر القرآن المسيحية تعرف أنها وصلت إلى محمد عن طريق الروايات المتواترة المحرفة وعن ابتداعات المسيحية الشرقية القديمة».

فأجابوه في (ص ١٨) بقولهم: قد كان القرآن حربًا على هذه التقاليد والروايات التي تعتمد على التثليث والصلب وما إليها، فكيف تكون عناصر القرآن؟.

وحسبنا أن نقرأ للمنصف قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

وقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨- ٩٥]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦- ١١٨].

وقوله في تكذيب اليهود: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٥٧].

(ل) (ص١٨ - س٩): قال: «كما ينضم إلى هذا وذاك شيء من القنوصية الشرقية؛ ذلك لأن محمدًا قد أخذ بجميع ما وجده في اتصاله السطحي الناشئ عن رحلاته التجارية، مهما كانت طبيعة هذا الذي وجده، ثم أفاد من هذا دون أي تنظيم».

قالوا: (القنوصية) نسبة إلى القنوص: كلمة يونانية - معناها - المعرفة. ثم أخذ بعده معنى اصطلاحيًّا هو محاولة التوصل إلى المعارف العليا بنوع من الكشف أو محاولة تذوق المعارف الإلهية تذوقًا مباشرًا بأن تلقى في النفس إلقاءً.

(م) (ص١٩ - س١٠): «وكذلك التقليد القائل يعد شيئًا قديمًا كان يجب على النبي تقويمه وكذلك الافتراض القائل بتحريف الكتب المقدسة، هذا وإن كان طبعا في الإسلام بطابع أقوى، إلا أنه قد وجد لهما أصل في بعض الأفكار التي تتصل اتصالات وثيقة بتعاليم القديس (كليماندس) المسيحية». اهـ.

وأجابوه بأن القول بتحريف الكتب المقدسة قديم وهذا لا يضر القرآن في شيء. فإن زعم أن صاحب الرسالة ﷺ قلد في هذا من سبقه، فهي دعوى بلا برهان، وهل كان كليماندس يقول بتحريف الكتابين في التثليث والصلب مثلًا؟ وهل كان كليماندس ينكر هذه الأمور التي هي من مقومات المسيحية في عهدها المبدل؟

[1](س): **قال المعربون في (ص ١٩)**: يذكر اليهودي أن الوحي كان فيه نزعة من الحط من شريعة العهد القديم وعدها صادرة عن إله بعيد عن الرحمة.

والوحي والقرآن كان من دأبه الإشادة بالعهد القديم والعهد الجديد واحترامهما. والقرآن جاء مصدقًا لما بين يديه من التوراة والإنجيل وإنما ينعى على من حرف فيهما وبدل.

---

(١) تتمة مقال «تعليقات على كتابي «العقيدة والشريعة في الإسلام» و «مذاهب التفسير في الإسلام» لجولد زيهر». مجلة المنهل - ربيع الأول - ١٣٧٩هـ السنة (٢٤).

وتحريم أشياء على اليهود لم يكن للقسوة عليهم، وإنما كانوا يستحقون ذلك كما قال عقب ما حرمه عليهم: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

(بـه): آخـر (ص ١٩) وأول (ص ٢٠): قـال: «ومـع تـسليمه أن الله خلـق السموات والأرض في ستة أيام فإنه رفض عامدًا فكرة أن الله استراح في اليوم السابع» ا هـ. نعم رفض القرآن فكرة استراحة الله من خلق السموات والأرض في اليوم السابع بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

كما رفض تهورهم على الله بقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]. وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]. ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]. وقولهم: إن الله ندم على خلق آدم. وقولهم: إنه حزن على الطوفان وبكى حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة. وقولهم: إنه نزل فتصارع مع يعقوب حتى صرعه يعقوب فابتلاه بعرق النسا في فخذه ... إلى غير ذلك من فرياتهم على الله.

فهل كان يحب الكاتب من رسول الله خاتم الرسل وكتابه المهيمن على الكتب كلها أن يقرر هذه الكفريات.

ثم ألا يستحي هذا اليهودي من بهته رسول الله ﷺ بأنه نقل دينه عن (المرقونية) أو (الفليماندسية)، ومن أين للأمي العربي هذه الأفكار؟

(ف): (ص ٢٠- س ٢٢): قال: «ويمكننا أن نقول عن جميع الأديان: إنها ذات قيمة مطلقة بالنسبة إلى إدراك أتباع كل منها وقيمة نسبية لدى عقل الفيلسوف الناقد».

وآخر (ص ٢٠) وأول (ص ٢١): «إننا اعتبرنا الدين الإسلامي مسؤولًا عن عيوب أخلاقية، ومسؤولًا كذلك عن ركود عقلي؛ وكل ذلك من الاستعدادات الجنسية». ا هـ.

هذا كلام جاحد للأديان ومفتر عليها، ولئن صح مثل هذا في اليهودية والنصرانية فلن يصح في الإسلام الذي شهد له منصفو العقلاء والمفكرين أمثال: كارليل، وجوستاف لوبون الفرنسي، وجوستاف صرونيباه النمساوي، وغيرهم من أهل الإنصاف والعقل، وشهاداتهم الحق مدونة في مؤلفاتهم الشهيرة.

(ص) (ص ٢٢- س١١): قال: «كما تتطلب سائر الفضائل التي أخذها الإسلام عن الأديان السابقة والتي يعترف محمد ﷺ بأنبيائها أساتذة له». اهـ.

رده معربو كتابه بقولهم: هذه العبارة توهم ما لا يفهم المسلم، فالمسلم يفهم أن الفضائل ومكارم الأخلاق في أصول العقائد تتفق فيها الأديان، وجميعها من مصدر واحد هو العلي الحكيم، ولم يأخذ دين عن دين، والأنبياء السابقون أمر النبي ﷺ أن يقتدي بهم في طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع الفرعية.

وحاصل ذلك أن يقتدي بهم في الاستمرار على تبليغ ما أمر به والصبر في هذا السبيل، لا أن يأخذ لها عنهم ما أتو به فقد كفل الله ذلك بالوحي، وترى الكاتب لا يذكر ما جاء في آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

قلت: فسرها ابن عباس بأخذ العهد على كل نبي أن يأمر أتباعه أن يؤمنوا بالنبي الذي يبعث بعده.

فقد أخذ العهد على موسى وعيسى أن يأمرا أتباعهما بالإيمان بالنبي محمد ﷺ، كما قال الله لموسى: (سأبعث في بني إخوتهم نبيًّا مثلك) بشارة بالنبي محمد ﷺ، وقال المسيح ابن مريم: (وسأذهب ويأتيكم الفارقليط يعلمكم كل شيء) والفارقليط هو أحمد، كما ذكر الله عنه في القرآن ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

(يز) (ص ٢٤) **أولها**: ذكر أربع آيات من سورة البلد.

ثم قال (س٣): «وهذا تفصيل أو شرح مطول لما جاء به النبي أشعيا (ص ٥٨: ٦- ٩)».

وقالوا له: وهذا كما ترى تخرص على عادته وما كان النبي ﷺ ليعرف من أخبار أشعيا أو غيره إلا كما أنبأنا الله وقصه عليه، وما رأينا لهؤلاء المتخرصين دليلا على إفكهم فيما يزعمون.

قُلت: وليس لأشعيا ذكر فيمن ذكر الله من الأنبياء السابقين كحيقوق، وملاخي، وأرميا، وغيرهم ممن ذكروا في التوراة، فلا نصدق ولا نكذب بهم، ونقول: آمنا بأنبياء الله ورسله جميعًا، سواء من قصة الله علينا منهم ومن لم يقصصه، كما قال تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ﴾ [غافر: ٧٨].

وقال تعالى بعد ذكر قصة نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

وقال عقب قصة موسى من سورة القصص: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقال تعالى بعد ذكر كفالة زكريا لمريم: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

وقال في آخر قصة يوسف من سورته: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

ولنذكر ألفاظ الآيات الأربع من «إصحاح ٥٨» من أشعيا؛ ليقارن المنصف بينهما وبين الأربع الآيات من «سورة البلد» ويتبين إن كانت الثريا أخذت من الثرى أو العكس!

قال أشعيا عن قول الرب: (أليس هذا صومًا اختاره حل قيود الشر، فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحرارًا وقطع كل نير).

٧- (أليس أن تكسر للجائع خبزك، وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك، وإذا رأيت عريانًا أن تكسوه، وأن لا تتغاضى عن لحمك).

٨- (حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتنبعث صحتك سريعًا، ويسير برك أمامك ومجد الرب بجميع ساقتك).

٩- (حينئذ تدعو فيجيب الرب، تستغيث فيقول: ها أنذا إن نزعت من وسطك الإيماء بالإصبع وكلام الإثم، وأنفقت نفسك للجائع وأشبعت النفس الذليلة؛ يشرق في الظلمة نورك، ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر، ويقودك الرب على الدوام، ويشبع في الجدوب نفسك وينشط عظامك، فتصير كجنة ريا وكنبع مياه لا تنقطع مياهه، ومنك تبنى الخرب القديمة، تقيم أساسات دور فدور فيسمونك مرمم الثغرة مرجع المسالك للسكنى). اهـ. (١٩/ ١٠).

(.) (ص ٢٣- س ٨): قال اليهودي: «فيما يتعلق بشعائر الحج التي نظمها أو على الأقل احتفظ بها من بين تقاليد الوثنية استنادًا إلى كلمة ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم ﴾ [الحج: ٣٤]».

قلت: دعواه أن محمدًا نظم شعائر الحج، أي اخترعها، ثم أعرض عن هذه الدعوى إلى شر منها؛ أنه احتفظ بها من بين تقاليد الوثنية، وكلتا الدعوتين تهدم إحداهما الأخرى.

وسبق في (ص ١٨ - س٤) قوله: «وهذا الركن الأخير - يعني الحج - احتفظ به محمد عن الوثنية لكنه جعله متفقًا والتوحيد وعدل معناه مسترشدًا في ذلك ببعض الأساطير الإبراهيمية».

وكلها دعاوى تنقصها البينات، فأقل ما يقال فيها إنها كذب على رسول كريم خير رسل الله على الإطلاق، وتهيب له بالكذب والافتراء على الله وعلى رسل الله؛ إبراهيم ومن بعده.

وقد قال الله تعالى في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٦-٢٩].

وقال بعدما أثنى على الخليل بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣].

وقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

وقال: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٨] الآية.

(يط) (ص ٢٦- س ٣): قال: «على أنه يبدو أن هذا لم يرده محمد نفسه فقد قال: إن الله أرسله ﴿شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي أنه مرشد أنموذج، ومثل أعلى، على الأقل ليس أسوة حسنة إلا بفضل رجائه في الله وذكره الله كثيرًا».

وأجابوه في (ص ٢٦) بقولهم في الآية: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. أنه أساء فهمها. فقوله: لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من (لكم) أي: لقد كان لمن يرجو الله واليوم الآخر أسوة حسنة في رسول الله. أفبعد هذا يقال: لم يكن أسوة حسنة. إلخ.

ولقد كان الرسول ﷺ في حياته مثلًا أعلى للمؤمنين قبل أن يخلق علم الكلام، وكانوا يعتدون به في كل شيء، وكذلك ائتساء ابن عمر وغيره به معروف، وكذلك حصل في بيعة الحديبية واقتداؤهم في وضوئه وغيره معروف.

وكان الرسول يرى من نفسه التواضع ليقتدى به في ذلك ويقول: «**إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد**»(١). وهو يعرف منزلته عند الله ومكانته من الرسل ويقول: «**أنا سيد ولد آدم**»(٢).

فإن كان المؤلف لا يشعر بأنه قديس بالمعنى المعروف عند الكتابيين بما يخرجه من صفات البشر فهذا صحيح، وقد كان النبي ﷺ يعلم - طبعًا - أنه صاحب معجزات وإلا لِم لَم يَدَعْ الرسالة؟ فما آية ذلك؟ وما هي السيئات التي صدرت منه تحت هذا الضعف؟!.

ويرد على هذا المفتري قول الله تعالى في مدح نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] يعني النبي ﷺ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] بقوله وعمله والاقتداء به.

وقوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

(ك) (ص ٢٧- س ١٢): قال الحقود الحسود: «وبعد أن كانت الرؤيا تكشف له انهيار هذا العالم السيئ انتقل فجأة إلى تصور مملكة في هذا العالم، فهو الآن يحمل السيف في العالم ولا يكتفي بعصاه التي يضرب بها الأرض، ولا بنفثات شفتيه لإبادة الكفرة، بل هو نفير الحرب الذي ينفخ فيه، وهو السيف الدامي الذي رفعه لإقامة مملكته؛ هو نبي القتال والحرب كما ورد في التوراة».

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٩٥٤٣).

(٢) رواه مسلم (٢٢٧٨).

أجابوه بقولهم: إن الرسول في المدينة وقد تمثل ما يفتح على أمته من الممالك لم ينس العالم الآخر، ويقول في أيام الخندق وقد رأى هذه الفتوح ما معناه: «**إنني أخاف عليكم هذه الفتوح أن تفتنكم عن دينكم... والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن يفتح عليكم كما فتحت على من قبلكم فتنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**»(١).

فلم يتقلب في المدينة ملكًا همه الثراء له ولأمته كما يصوره الكاتب زورًا وبهتانًا، فالرسول في مكة هو الرسول في المدينة، ولم تزل عيشته بعد الفتوح وما أفاء الله عليه العيشة الأولى.

قلت: وقالت عائشة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ: لقد كنا نر الهلال والهلال والهلال وما يوقد في بيتنا وما لنا طعام إلا الأسودان التمر والماء(٢).

ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير طعامًا لأهله(٣)، حتى فكها خليفته من بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨].

وسُئلت عائشة رضي الله عنها عما كان يعمله في بيته قالت: كان في خدمة أهله ويخصف نعله(٤).

وخرج يومًا من داره جائعًا فلقي أبا بكر الصديق فقال: «**ما أخرجك الآن يا أبا بكر؟**» قال: الجوع. وكذلك لقي عمر، فرجعوا جميعًا إلى بستان أبي الدحداح بن التيهان رضي الله عنه، فضيفهم على رطب وتمر وبسر، وذبح لهم عناقًا، فأكلوا وشربوا وقال: «**هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة**»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٥٨، ٤٠١٥)، ومسلم (٢٢٩٦،/ ٣١، ٢٩٦١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٦٧، ٦٤٥٩)، ومسلم (٢٩٧٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٠٦٩، ٢٩١٦، ٤٤٦٧).

(٤) رواه أحمد ٦/ ١٢١.

(٥) رواه أحمد ٣/ ٣٣٨، والترمذي (٢٣٦٩).

ولما رجع عدي بن حاتم رضي الله عنه بالمدينة فاستوقفت النبي ﷺ امرأة في عرض الطريق، فوقف لها حتى فرغت من حاجتها، فوقع في قلب عدي أن هذه ليست من أخلاق الملوك، ثم دخل معه البيت فألقى إليه وسادة جلس عليها عدي، وجلس النبي ﷺ على الأرض. فأكدت في نفس عدي نبوته فأسلم وترك نصرانيته[1].

وجاءت جارية فأخذت بيده حتى ذهبت به إلى مواليها فشفع لها عندهم وقبلوا شفاعته.

واستشفع به مغيث زوج بريرة لما أعتقت وبقي هو رقيقًا مع حريتها ورقه.

فقالت بريرة للنبي ﷺ: شفاعة أو أمر؟ فقال: «**بل شفاعة**»[2]، فردت شفاعته. أفهذه وأضعاف أضعافها أخلاق ملوك أم أخلاق نبوة؟

(كا) آخر (ص ٣٠) وأول (ص ٣١): أعاد فريته على الرسول بأنه تغير حاله في المدينة عن حاله في مكة فقال: «إنه كلما أخذ عمل رسالة محمد يتقدم تقدمًا خارجيًّا ثم التحول تدريجيًّا، فبعد أن كان تحت سلطان الرؤى بالدار الآخرة والتي كانت تملأ نفسه وتؤثر في تبشيره خلال المرحلة الأولى من نبوته انتقل إلى الأماني الدنيوية القوية التي صار لها التفوق في خلال مراحل نجاحه، وهذا ما طبع الإسلام التاريخي بطابع الدين الحربي المتناقض تناقضًا مطلقًا مع مرحلته الأولى حيث لم يفكر في مملكة دائمة في عالم مصيره إلى الفناء، والذي هو في الوسط الحربي المحيط به مباشرة هو أنه أوصى بتحقيق رسالته؛ مستقبله لأمته، وهي جهاد الكافرين والتوسع في نشر الإسلام وفي سيطرته التي هي سيطرة الله على أوسع نطاق.

ومن ثم ترى أن مهمة المجاهدين في الإسلام لم تكن هداية الكافرين

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٢٥٧.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٢٨٣)، والنسائي (٥٤١٧).

فحسب، بل إخضاعهم أيضًا».

وأجابوه بقولهم: يمضي أيضًا على عادته في الزعم بتغيير حالة الرسول وطمعه في الدنيا وانتقاله محاربًا جبارًا، وهذا أبعد ما يكون عن حياة النبي ﷺ، فقد كان إذا عاد من فتح أو غزو يكون هجيراه: «**تائبون آيبون حامدون لربنا عابدون**»(١).

وكان المسيطر عليه وعلى أعماله النظر إلى الآخرة وواجب الدين والتحذير من عذاب الآخرة والتبشير بنعيم الجنة وما فيها مما لا يزال مبثوثًا في تضاعيف السور المدنية، ففي «النساء المدنية» يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [النساء: ٥٦- ٥٧].

وأجابوه في (ص ٢٨) بقولهم: لم تتغير فكرة الرسول ﷺ عن الله – وحاشاه من ذلك – فإذا صبر في مكة وحارب في المدينة – وكلًّا بأمر الله – أفيقتضي ذلك تغيير فكرته عن الله؟! حاشا وكلا.

وأجابوه عن جهاد الإسلام في (ص ٢٨) بقولهم: كانت مهمة المجاهدين في الإسلام هداية الكافرين وإخضاعهم إن لم يهتدوا عنوة وكسر شوكتهم حتى لا يستشري شرهم فينالوا من الإسلام، فغرضهم ديني أبدًا، ولم يطبع الإسلام بالطابع الحربي رغبة في الحرب، بل الغرض الأول هو دفع العدوان عن الدين ونشر مبادئه القويمة.

قلت: ويؤيد ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠- ١٩١].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩١٩)، ومسلم (٤٢٥).

وقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩- ٤٠].

وقوله: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣] إلى آخر الآيات في ذلك.

والتحقيق عند علماء الإسلام المحققين أن الجهاد في الإسلام كان لدفع العدوان وتأمين الحوزة، ولم يكن للإكراه على العقيدة قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة «الجهاد في الإسلام» حقق المسألة أيما تحقيق فارجع إليها إن شئت[1].

وفي آية المزمل قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]. وهي في سورة مكية نزلت بعد الوتر، وقوله فيها: ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] دليل واضح على أن النبي ﷺ ما تغير دينه لا في مكة ولا في المدينة وإنما كان الصبر على الأذى في مكة تأسيسًا وتربية له ولأصحابه حتى يشرع الدفاع عن النفس ورد العدوان متى تأهلوا لذلك.

فلم يتغير شرع الله في مكة ولا في المدينة في تأسيسه على دفع العدوان والجهاد لرد البغي والظلم، والأمور مرهونة بأوقاتها، وسنة التدرج في

(١) قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «أما قول من قال: بأن القتال للدفاع فقط، فهذا القول ما علمته لأحد من العلماء القدامى... وقد كتب بعض إخواننا رسالة في الرد على هذا القول، وفي الرد على رسالة افتراها بعض الناس على شيخ الإسلام ابن تيمية، زعم فيها أنه يرى أن الجهاد للدفاع فقط». انظر: «ليس الجهاد للدفاع فقط» مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (١٨/ ١٣٦).

التشريع كما هي في القدر والحياة سنة حكيمة جرى عليها شرع الله كما جرى عليها نظامه في الحياة والخلق والقدر.

(١) (ص٢٩):

يشنع اليهودي على قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

قال: «وهذه الصفة أدت إلى نتيجة حتمية وهي أن تمتزج بفكرة الله كما كان يمثلها محمد؛ بعض السمات الأسطورية التي تقلل من شأنها، كما أن المحارب ذا القدرة اللانهائية في حاجة إلى الدفاع عن نفسه ضد كيد أعدائه ومقاومتهم بلا انقطاع بوسائل تشبه وسائلهم وإن كانت أقوى منها؛ لأنه حسب مثل عربي قديم مأثور: الحرب خدعة(٢)... إلخ».

ثم قال في (ص ٣٠- س٣): «وليس من الممكن بطبيعة الحال أن نزعم أن محمدًا كان يتصور الله كان يكيد ويمكر حقًا، فما في الآيات من تهديد يجب أن يفهم بمعنى آخر، وهو أن الله يعامل كلا بحسب سلوكه وعمله... إلخ».

أجابوه: عمد الكاتب إلى آيات وردت في جانب الله على سبيل المشاكلة والاستجازة والتوسع في العبارة على سنن العرب في كلامهم، فحملها على الحقيقة والتشبيه، وبنى عليها نتيجة فاسدة ومثل بقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

والعجب أن الكاتب يعمد بعد هذا فيقرر أن الرسول لم يكن يفهم هذه الآيات على ظاهرها، يعني مشابهة المخلوقات، بل يفهمها بمعنى صحيح

---

(١) تتمة مقال «تعليقات على كتابي «العقيدة والشريعة في الإسلام» و «مذاهب التفسير في الإسلام» لجولد زيهر مجلة المنهل – جمادي الأولى – ١٣٧٩هـ - السنة (٢٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٦٦)، ومسلم (١٧٣٩).

مناسب، وإذن ففيم هذا الإيهام؟ وأين -- في هذه -- السمة الأسطورية التي يزعمها؟!

أقول: والذي فهمه المسلمون جميعًا من أمثال هذه الآيات هو المعنى اللائق بجانب الله تعالى الذي لا يشبه صفات خلقه، والله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فمفادها هو ما تفيده جميع صفات الكمال والجلال لله تعالى من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تحريف وإبطال؛ شأنها في ذلك شأن رحمة الله ورضاه وغضبه وفرحه وسخطه إلى أمثال ذلك من صفاته التي فهمها المسلمون على ما يليق بجلال الله تعالى.

ونسي هذا اليهودي ما في توراته من تمثل الله في صورة إنسان ومصارعته ليعقوب طول الليل، وعجزه عن يعقوب حتى ضربه في حق فخذه، «إصحاح» (٢٢، ٢٤ -- ٣٠).

وما في التوراة «إصحاح» (٦ آية ٦): وحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه، فقال الرب: امحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته؛ الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء؛ لأني حزنت لأني عملتهم.

فيعمى هذا الحاسد الحقود عن ذلك في كتابه، ويشنع على آيات من كتاب الله ويسميها أساطير، كما قيل: «رمتني بدائها وانسلت». وكما قيل: «الهوى يعمي ويصم». وقيل في المثل: «من كان بيته من زجاج فلا يرم الناس بالحجارة». وكما قيل[1]:

وكم من عائب قولا صحيحًا ... وآفته من الفهم السقيم

وكما قيل[2]:

ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مرًّا به الماء الزلالا

---

(١) القائل هو المتنبي. انظر خزانة الأدب (١/ ١٩٢).

(٢) القائل هو المتنبي . انظر خزانة الأدب (١/ ١٨٩).

وكما قيل: «قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد» ... إلخ.

(لـج): (ص ٣٠- س٢٤): قال اليهودي: «ومع هذا فهناك ضلال أسطوري في الطريقة التي يتصور بها محمد الله؛ إذ تؤدى إلى أن الله ينزل من عليائه السماوية ليصبح الشريك المعين للنبي في جهاده الذي أخذ به في الأضطلاع في هذا العالم».

أجابوه في (ص ٣٠) بقولهم: ومحمد أبعد الناس أن يتصور النزول الجسمي لله، وأي شيء فيه ما يمت للجسدية، والإيمان بنصره وأقداره لا ضلال فيها.

وفي (ص ٣٥- س ١١): قال اليهودي: «فإننا لا يمكن لنا أن نتناسى أن القرآن بعيد كل البعد عن أن يكفي وحده لمواجهة عقلية الإسلام التاريخية».

وأجابوه بقولهم: الكتاب والسنة وما فيهما من أصول ومبادئ يواجهان الحياة العامة للإسلام في كل عصوره، وما كان من نسخ في حياة الرسول كان لأن الوحي لم يكمل، فأما ما قبل وفاته بقليل فقد كمل الوحي وأقفل باب النسخ. ويفزع المسلمون دائمًا في كل أمورهم إلى الكتاب والسنة، فإن خرج بعضهم على قواعد الدين فقد ظلم نفسه وباء بالخسران في عمله.

ويشهد الكاتب أن القرآن كان دستور المسلمين في العصر الأول، وقد كان المسلمون حينئذٍ أولى قوة وأولي بأس وذوي مدنية راقية، أفلم يكن هذا دليلًا كافيًا لكافية الكتاب والسنة؟.

قال في (ص ٣٦) للقسم الأول ص ٢٧٢: «فأيًّا ما يكن الحكم الذي يمكن أن يكون للقيمة الأدبية للقرآن فإن مما لا جدال فيه في رأي الخالي من التعصب أن الذين اشتغلوا في عهد الخليفتين أبي بكر وعثمان بكتابة القرآن قد قاموا بعملهم أحيانًا على صورة غير مرضية.

إن أقدم السور المكية المتميزة بقصرها والتي سبق أن اتخذها النبي

نصوصًا تعبدية تتلى في الصلاة وذلك قبل هجرته إلى المدينة والتي تؤلف كل مقطوعة منها جزءًا كاملًا من التنزيل كانت بسبب إيجازها أقل تعرضًا للتصحيف عند جمعها وكتابتها.

أما بقية سور الكتاب وخاصة في بعض السور المدنية فيتجلى فيها عدم النظام والارتباط مما سبب كثيرًا من المتاعب وأقام صعابًا عديدة في وجه المفسرين في العصور التالية، والذين كان عليهم أن ينظروا ترتيب السور والآيات على اعتبار أنه ترتيب أساسي ونظام جوهري لا يمكن أن يمس، ولو تحقق في وقت من الأوقات وفاقًا لرغبة (رودلف جينز) أن تنشر طبعة للقرآن انتقادية حقًّا ومتضمنة استيفاء كاملًا وتمحيصًا نافيًا للنتائج العلمية ينبغي أن تغير مواضيع بعض الآيات المقتطعة من سياقها الأول وعدم إبقاء التنقيحات والتحسينات المختلفة، وأن حقيقة التغييرات التي حدثت أثناء جمع القرآن وتحريره فقد أوضحها (نولدكه) في البحث الذي أفاده عن ترتيب بعض السور في كتابة تاريخ القرآن.

وعندما [illegible] وجود زيادات لا مبرر لها يكون من الميسور أن نصل أحيانًا إلى أن نحل بسهولة كثيرًا من مصاعب فهمنا للمتن».

ثم مثل بآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النور: ٦١] الآية.

ثم علق عليها بقوله: «فالنبي هنا يأذن للمؤمنين بحرية الجلوس على موائد ذويهم وأقربائهم، بل يأذن لهم بقبول ضيافة قريباتهم؛ فيتبادر إلى الذهن في أول وهلة أن الكلمات الأولى في الآية الستين التي تزيد في هذه الإباحة فتشمل العميان والعرج والمرضى لا تلتئم كثيرًا مع السياق الطبيعي لبيان الفكرة وتفصيلها».

إلى أن قال: «غير أن فحصًا أعمق من هذا يثبت أن هذه القطعة الغريبة عن سياق الفكرة وبسطها قد نقلت من مجموعة أخرى من الحكم والتعاليم إذ هي

تنطبق في الأصل لا على مشاركة الإنسان في تناول الطعام في غير منزله، ولكن تنطبق على الاشتراك في الغزوات عندما كان الإسلام في بدايته.

إن النبي في سورة الفتح من الآية: ١١ إلى: ١٦ يغلظ القول ويعنف الخالفين من الأعراب الذين لم يشتركوا في الغزوة السابقة وينذرهم بعقاب صارم من ربهم، تضيف الآية: ١٧ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾. وهي كنص الآية: ٦١ في سورة النور، فهذه الجملة أدخلت في هذا السياق الآخر الذي كانت غريبة عنه، وقد أثرت تأثيرًا واضحًا في تحرير الآية التي لا يمكن إعادة بدايتها الأصلية مع وجه الدقة».

أجابوه بقولهم في (ص ٢٧٥): يكفي الرد على كل ما أثاره المؤلف هنا من شبهات أن نقرر أن هؤلاء الضعفاء كانوا يتحرجون من مؤاكلة الأصحاء؛ يخشون من استقذارهم، وكانوا كذلك يتحرجون من دخول بيوت المجاهدين في غيبتهم، مع أنهم أذنوا لهم في دخولها. فرفعت الآية: ٦١ الحرج عنهم في الحالين جميعًا، ولا شك أن كلا التفسيرين ملائم لما قبله وما بعده، وكلاهما أثبته البيضاوي.

كان الإنصاف يقضي إذن على المؤلف أن يعرضهما معًا! لكنه اختار معنى آخر مردودًا وهو الترخيص لهؤلاء الضعفاء في القعود عن الجهاد ليبني عليه افتراضه الخيالي وهو أن هذه القطعة قد نقلت من سورة الفتح، ولا صحة له إلا تشابه اللفظين.

قلت: هذا جوابهم لليهودي في دعواه عدم انسجام الآية ٦١ من سورة النور، وهو كاف في رد هجومه وتهوره على نظم القرآن.

وبقي أن نجيبه على اتهام كُتَّاب القرآن في عهد أبي بكر وعثمان بأنهم قاموا بعملهم أحيانًا على صورة غير مرضية.

يقال لهذا اليهودي الذي حسد الإسلام على تواتر كتابه حفظًا ونقلًا وكتابة مع حرمان دينه اليهودي من هذه المزية وضياع كتابهم «التوراة» إبان السبي البابلي، وكتبها لهم عزيرٌ الكاتب من أفواه العجائز وحكايات الشيوخ وأفواه الناس، فوقع فيها من التحريف والغلط ما بينه العلماء الأعلام وسجله الله عليهم في كتابه المجيد بقوله: ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٤] مع

التحريف والتبديل الذي سجله عليهم بقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]. وقوله تعالى عنهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

فجاء الحاقد الحاسد ينتقم من الإسلام في دعوى قيام كتاب القرآن في عهد الخليفتين أبي بكر وعثمان بعمل غير مرض، والتاريخ والقرآن والواقع يكذبه في هذا البهتان والافتراء، فالقرآن حفظه مع الرسول ﷺ الجم الغفير وقرأه عليهم في الصلوات والخطب وجلساته العلمية.

وأين كان أبو بكر وعمر وعثمان عند قيام هؤلاء الكتبة بعمل غير مرض في تدوين القرآن الكريم؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وصدق الله وحفظ كتابه على ممر القرون وتعاقب الزمان مع وجود أعدائه من الكفار والمشركين والمنافقين والقرآن قائم يتلى في المساجد في الصلوات والدروس والمدارس بلا شك ولا ريب كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] كما قال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

فالقرآن والتاريخ وإجماع المسلمين وعقلاء أهل الكتاب يكذبون هذا المفتري، ولكن العمى الذي اختاره هذا اليهودي لنفسه جره على وجهه إلى هذه المباهتة التي لا يوافقه عليها إلا من هم مثله حسدًا وحقدًا وجحدًا وعنادًا للحق.

يتحدى القرآن الإنس والجن أربعة عشر قرنًا أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا أو معينًا. قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] أي معينًا.

فهيا يا معشر الحساد والكفار اجتمعوا جميعًا وردوا على هذا التحدي وأتونا بكتاب أهدى من القرآن أو مثله في الهدى والرشاد والهداية التي هي

أقوم، بل يتحداكم بعشر سور مثله، بل بسورة واحدة، وإلا فموتوا بغيظكم واكتموا قيأكم وصديدكم في صدوركم إن كان لكم بقية من حياء وإنصاف.

وأما دعواه في عدم انسجام السور المدنية لطولها بخلاف المكية، فدعوى الأعمى الذي يعيب ضوء الشمس، والأصم الذي لا يسمع الأصوات والألحان والموسيقى والأغاني، ثم يذهب إلى ذم ما لم تهتز به طبلة أذنه ولم يدخل أوتار سمعه.

إن القرآن الذي أنزله الحكيم العليم ليتلى في الصلوات ويكرر في الأوراد في جميع الأوقات قد نوعه الله أجمل تنويع وفصله أبين تفصيل وكرره بالإيجاز والإطناب والإجمال والتفصيل حتى لا تسأم النفوس تلاوته ولا تمل القلوب تكراره.

فليس هو كمؤلفات البشر؛ مبوبًا كل نوع منه على حدة مثل كتب القوانين أو الفنون والعلوم التي لا يستطيع الإنسان إعادة ما قرأ منها فضلًا عن تكراره وترديده. وجرب بنفسك كتابًا من هذه الأنواع فاقرأه عدة مرات لترى السآمة في كل مرة تعيده فيها والملل عند كل إعادة.

أما القرآن فالمسلمون يقرأونه بكرة وعشيًّا في صلواتهم ودروسهم وأورادهم بلا ملل ولا ضجر بسبب عذوبة لفظه وتنويعه على أحسن وجه كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

أما هؤلاء الذين طبع الحسد والحقد على قلوبهم فقد بين الله حالهم مع القرآن بقوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] هو حجاب أهوائهم وكفرهم وجحودهم وحسدهم وحقدهم ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ

عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٤-٦].

(١) وفي (ص ٤٧ - س١٨): قال: «وليس غريبًا أن تكون هذه التعاليم الفقهية والتشكيلات المستعملة قد تأثرت كذلك بثقافات أجنبية، كما أن المعارف الفقهية الإسلامية تحمل - على سبيل المثال كما حقق ذلك البحث الحديث تحقيقًا ثابتًا - آثارًا غير منكورة من الفقة الروماني».

أجابوه في (ح) (ص ٤٧): يذكر أن الفقة الإسلامي تأثر بالقانون الروماني وغيره، وهي نزعة للمستشرقين لم يقيموا عليها دليلًا، وإنما يبغون انتقاص مقومات الإسلام والحط منها بداعي الهوى والعصبية ومصادر الإسلام معروفة ليس منها هذا الذي يهرفون به.

ومع هذا فحسبنا أن نشير إلى بحث الأستاذ الكبير صليب سامي باشا أحد الوزراء السابقين الذي نشر بالأهرام وبمجلة الشبان المسلمين بعددها المؤرخ في ٨ يونية عام ١٩٤٥ م، ففيه دحض هذا الرأي من المستشرقين. اهـ.

قلت: ويقال لهم حينئذ: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [يوسف: ٢٦] فهذا منصف من أهل الكتاب يرد هذه النزعة المغرضة لهؤلاء المستشرقين الذين شرقوا بريقهم من ظهور الإسلام وهم ممن قال الله في أمثالهم: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

وفي آخر (ص ٩٥) وأول (ص ٩٦): قال: «كان واجبًا عليهم أولًا أن

---

(١) تتمة مقال «تعليقات على كتابي «العقيدة والشريعة في الإسلام» و «مذاهب التفسير في الإسلام» لجولد زيهر. مجلة المنهل - جمادي الآخرة - ١٣٧٩ هـ - السنة (٢٤).

يستأصلوا ما لا يتفق وسمو الله من الأفهام أو التصورات التجسمية التي توجد في المذهب السني التقليدي؛ هذا المذهب الذي كان لا يقبل شيئًا آخر غير التصديق الحر في التعابير والنصوص المجسمة والمشبهة التي جاءت في القرآن والحديث والنصوص المتواترة، فالله البصير السميع الغضوب الضاحك، والذي يجلس ويقف، وكذلك يداه وقدماه وأذناه مما كان غالبًا جدًّا موضع حديث في القرآن والحديث والنصوص الأخرى.

كل ذلك يجب في رأي السنة أن يفسر حرفيًّا، وأن يؤخذ على ظاهره، والمدرسة الحنبلية بصفة خاصة قاتلت انتصارًا لهذا الفهم والتصور الخشن لله، وكانت تلزمه لأنه السنة في رأيها». اهـ.

وجوابه: أن هذا بهتان عظيم على الإسلام وكتابه وأهل السنة، فليس في الكتاب ما يهتم به من أذنين وقدمين وضحك وغضب وجلوس وقيام... إلخ هذا البهتان.

وإنما فيه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وفيه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤]. وفيه ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. وفيه ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وفيه ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

وفي كلام أئمة الإسلام: العجز عن درك الإدراك إدراك، والبحث عن سر الذات إشراك، تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا.

وما جاء في النصوص من الصفات مما يظنه هذا المفتري تجسيمًا كاستواء الله تعالى على عرشه، ووصفه بالسمع والبصر، والقدرة والإرادة، والغضب على أهل الغضب، والرضى والرحمة والضحك، ونحو ذلك، فهمه المسلمون عمومًا وأهل السنة خصوصًا على ما يليق بجلال الله تعالى مع عدم مشابهته المخلوقات. وتعالى الله تعالى عن التشبيه بخلقه أو

التجسيم مما لا يليق بجلال الله وقدسيته وتنزيهه عن مشابهة خلقه.

وفي (ص ٢٠- س ٨): قال: «بل قبل أن يغمض النبي عينيه، وعلى الأخص بعد وفاته مباشرة تحول المبدأ السائد إلى مبدأ آخر، ففكرة الزهد في العالم حلت محلها فكرة فتح العالم». اهـ.

قالوا له (ح) (ص ١٢٠): يذكر أن محمدًا ﷺ تحول من الزهد إلى الطمع في العالم ففكرة الزهد في العالم حلت محلها فكرة فتح العالم.

الزهد الكلي في الدنيا لم يكن من شريعة الإسلام، ولا مما عرف عن الرسول وأصحابه في صدر الإسلام، ولا في آخره، والإسلام دائمًا دين القوة والعمل، وهو يرغب عن التبتل والرهبانية والانقطاع عن الحياة ومن دلائل ذلك ما تجده في سورة القصص المكية: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] هذا هو المبدأ الذي يتجلى في الإسلام في أوله وآخره ورغبة الرسول في الفتح، وتوجيه أمته إلى ذلك؛ إنما هو لنشر دين الإسلام الذي هو دين عام لخير العالم، وقد كلف بتبليغه بحسب استطاعته وما يسعه زمانه، وعلى خلفائه وسائر أمته أن يتابعوه في هذا التبليغ.

وأما وقوع التفكير في الفتح بعد الهجرة؛ فلأن الأمر في مكة ما كان ليتسنى لمثل هذا التفكير ولم يكن قد جاء أوانه. اهـ.

ونقول لهذا اليهودي: ألم يكن بنو إسرائيل مأمورين في مصر بالصبر وتحمل الأذى من فرعون وقومه، حتى قالوا لموسى حينما قال لهم: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٨- ١٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥-٦].

فهذه سنة الله في خلقه يبعث رسله في أمم ضعيفة، ويأمرونهم بالصبر وتحمل الأذى حتى يقويهم الله وينصرهم ويمكن لهم في الأرض ويستخلفهم فيها كما قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وليس في الإسلام تلك الرهبانية التي ابتدعها أوائل النصارى من ترك الزواج والغنى وتحريم الطيبات كما قال الله عنهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

وقال الله تعالى في سورة الأعراف وهي مكية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فدعوى اليهودي على الرسول والإسلام والمسلمين أنهم تغيروا في حياتهم المدنية في النظر إلى العالم وفتحه عن حياتهم المكية في الزهد في الدنيا، دعوى باطلة كاذبة يردها الدين من أوله إلى آخره؛ مكية ومدنية.

وفي سورة المزمل المكية: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] فأشارت الآية إلى أن المؤمنين سيكونون تجارًا ومقاتلين في سبيل الله وهي آية مكية من أوائل ما نزل.

والصحابة الذين ذكر ثراءهم من الغنائم كالزبير وطلحة وأمثالهما لا لوم عليهم إذا اغتنموا من الحلال؛ من التجارات والسير في الأرض، وأدوا حقوق الغنى من زكاة وصدقات ومواساة المحتاجين، فليسوا كاليهود الذين قالوا: ليس علينا في الأميين من سبيل فيأكلون الربا والسحت ومال من ليس منهم وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

وفي (ص ١٢٢ - س ٦): قال: «وكانت البواعث الغالبة التي دفعت العرب إلى القيام بالفتوحات هي الحاجة المادية والطمع، كما فصل ذلك في دقة عظيمة «ليوني كاتبًا» في عدة فقرات من كتابه عن الإسلام».

قالوا له في (ح) (ص ١٢٢): ذكر أن البواعث الغالبة التي دفعت العرب إلى القيام بالفتوحات هي الحاجة المادية والطمع، وقد علمنا الدوافع إلى الاهتمام بنشر الدين، وان الرغبة فيه كانت لنشر الدين وتكوين دولة عالمية، وأما المال فلم يكن القصد إليه إلا أمرًا ثانويًا.

وقد روى الطبري[1] في حوادث السنة المائة أن عمر بن عبد العزيز كتب لعامله على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي بوضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة - أي رفعها عنهم - فكتب إليه: إن الناس سارعوا إلى الإسلام فرارًا من الجزية لا حبًا فيه. فكتب إليه عمر بتأكيد وضعها - أي إسقاطها - عمن أسلم؛ لأن الله بعث محمدًا داعيًا ولم يبعثه جابيًا. اهـ.

قلت: رضي الله عن أمير المؤمنين عمر بن العزيز أعدل خلفاء بني أمية الذي بين حكمة الله تعالى في بعث رسوله محمد ﷺ داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وبشيرًا ونذيرًا، كما أمر الله تعالى أهل الكتاب باتباع النور الذي أنزل معه، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فأي هداية رآها العالم مثل الهداية النبوية المحمدية؟! وأي نور أضاء العالم كنور الإسلام؟! ولقد كانت الأمم تتخبط في ظلمات الجهل واستبداد الحكام وتحكم رؤساء الدين حتى جاء الإسلام وفك آصارهم وأغلالهم فسارعوا إلى الله فرحين مستبشرين مسرورين كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣١٤).

يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فالمسلمون أعزهم الله بالإسلام وليسوا ممن قال الله فيهم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾، إلى قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤-٨].

وفي (ص ١٢٧ - س ٣٤): قال: فقد روى عنه أنه قال: «**حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء**». مع هذه الإضافة: «**وجلعت قرة عيني في الصلاة**».

قالوا له في حاشية (ص ١٢٧): يرى أن جملة «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**». زيادة أضيفت إلى حديث «**حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء**»[(١)] وليتنا نعلم ما الذي رابه في هذه الجملة حتى حكم بزيادتها؟ وهل كان في حياة الرسول العملية ما لا يتفق مع مضمون هذه الجملة؟.

لقد كان النبي ﷺ مقيمًا للصلاة، ويهش لاستقبالها ويقول: «**أرحنا بها يا بلال**»[(٢)]. وكان كما روى أبو داود[(٣)]: «**إذا حزبه أمر صلى**».

كما كان يصلي في السلم والحرب، وفي شدة الخوف، وشرع ذلك كله للمسلمين.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩)، والنسائي (٣٩٣٦، ٣٩٤٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٨٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

(٣) رواه أبو داود (١٣١٩).

والحديث بهذه الزيادة رواه الثقات ولا مغمز فيه ولا مطعن، ولكن المؤلف ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض؛ ميلًا مع الهوى ومجانبة للنصفة. اهـ.

نقول له: وكان آخر وصية للنبي ﷺ في مرض موته: «**الله الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم**»(١).

وتقول عائشة أم المؤمنين زوجته ﷺ: «كان يكون معنا ... حتى إذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه»(٢).

وسأله بعض الوفود أن يخفف عنهم من الصلاة فأبى وقال: «**لا خير في دين لا صلاة فيه**»(٣).

وأول شيء بدأ به بعد الهجرة بناء مسجده ﷺ وشارك في حمل لبناته مع أصحابه.

وقال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر**»(٤).

لقد سقت نيفًا وثلاثين مثلًا من أمثلة حسد هذا اليهودي للإسلام ورسوله ونحو ثلاثين بهتانًا من أبهات هذا الحقود الذي شرق بدين الإسلام وأغشى عينه ضوؤه الذي ملأ الخافقين وسار مسير الشمس شرقًا وغربًا.

ولم يكن قصدي أن أستوعب جميع ضلالاته فهي تفوق الحصر وتزيد على العدد، وإنما رأيت أن أسوق هذه النماذج من كتاب «الشريعة والعقيدة الإسلامية» ليعرف الناس ألوان عناده وأصناف جحوده للحق الواضح المبين؛ وذلك مما يشهد بصحة الإسلام وصدق رسوله ﷺ، وكما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. وقيل: والضد يظهر حسنه الضد.

وسأنتقل لشيء بعد هذه الأمثلة إلى كتابه الآخر «من مذاهب التفسير في

---

(١) رواه أبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (١٦٢٥).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٧٦).

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢١٨) بلفظ: «لا ركوع فيه».

(٤) رواه أحمد (٥/ ٣٤٦)، والترمذي (٢٦٢١).

الإسلام» ليحذر الناس دخائله.

(١) وأما رغبة الحاسد الحقود الآخر؛ سلفه في الشر والكفر بهذا الدين وكتابه؛ أعني (رودلف جيير) في أن يرتب القرآن حسب أهوائهم، وتغير بعض مواضع الآيات المقتطعة - بزعمهم - من سياقها الأول... إلخ...

فحسبهم ما حرفوه من كتبهم السابقة حتى أفسدوها وأضاعوا الثقة بها، أما كتاب الله تعالى الذى تولى الله تعالى حفظه فلا سبيل لهم إلى تغييره أو تحريفه أو تبديله؛ لأن منزله هو الذي تولى حفظه، لا مبدل لكلمات الله.

وأما مشاكل بعض المفسرين لكتاب الله تعالى فطبعي؛ لأن مدارك الإنسان تقصر أحيانًا عن حكمة أحكم الحاكمين في شرعه وقدره.

فثمة مشاكل الخلق والتدبير في الطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء والفلك ونواميس الكون قائمة تشهد بعجز العقل البشري عن حلها، فلم لا يكون في كتاب الله تعالى الذي أنزله بعلمه ما يعلو على أفكار بعض الناس أو يشكل على بعض المفسرين؟ وقد قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

وأما سخافة (أوبتز) صاحب كتاب «الطب في القرآن» التي نقلها عدو الإسلام (جولد زيهر) في (ص ٢٧٤- س ٨) و س (١٣).

بقوله: «فإن أكلة واحدة مع أحد المرضى يمكن أن لا تكون خطرة على الصحة. وأن النبي كان يحسن أن لا يقاوم الاشمئزاز الذي تحدثه مثل هذه المشاركة».

أقول هذه السخافة أحقر من أن تحتاج إلى جواب، فالقرآن لم يأمرنا

---

(١) تتمة مقال «تعليقات على كتابي «العقيدة والشريعة في الإسلام» و «مذاهب التفسير في الإسلام» لجولد زيهر مجلة المنهل - شعبان - ١٣٧٩هـ - السنة (٢٤).

بالأكل مع المجذومين والمجدورين وأمثالهم من ذوي الأمراض التي تعدي الأصحاء، وإنما رفع الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض الذين يطيب خاطر الأصحاء بأكلهم معه؛ تطييبًا لخاطر هؤلاء الضعفاء ورفعًا لمعنوية أنفسهم وتحقيقًا للتكافل الاجتماعي لسائر طبقات الإسلام.

(كو) (ص ٣٥) – الفصل الثاني: (تطور الفقه)

تمثل اليهودي بقول أتاتول فرنسي، في قصة قديمة سماها حكمة.

قال أتاتول: إن من يؤسس دينًا لا يدري ماذا يفعل؟!

قال اليهودي: «أي أنه من النادر أن يدرك مؤسس الدين مدى أثر عمله على تاريخ العالم ... قال: وهذه الكلمة تنطبق على محمد أفضل انطباق».

أجابوه في الحاشية الأولى من (ص ٣٥) بقولهم: إن النبي ﷺ كان يعلم – أي بتعليم الله له – ما يصيبه الإسلام من الانتشار وتمكين السلطان، وقد بشر أصحابه بالفتوح التي تمت في عهد سلطانه، وفي سورة النور قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

قلت: وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وفي الحديث عندما كان في بيت عبادة بن الصامت، فنام، ثم استيقظ يضحك، فسألته الصحابية بنت ملحان عن ضحكه؟ قال: «**رأيت أناسًا من أمتي يركبون ثبج[1] هذا البحر ملوكًا على الأسرة أو كالملوك على الأسرة**».

ثم نام مرة أخرى ورأى مثل ذلك فقالت له: ادع الله أن يجعلني منهم قال: «**أنت من الأولين**». وكانت أن غزت مع زوجها قبرس وماتت فيها»[2].

---

(١) الثبج: ظهر الشيء ووسطه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٨٨، ٢٧٨٩)، ومسلم (١٩١٢).

والحديث الآخر: «**إن الله زوى لي مشارق الأرض ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها**»(١).

وفي (ص ٣٥- س١١): قال: «وإنه من ناحية أخرى لم تكن النظم التي وضعها - يعني النبي ﷺ - في حياته لتكفي العلاقات الكبيرة التي واجهها الإسلام الفاتح منذ الأيام الأولى، فقد كان تفكير الرسول متجهًا فقط ودائمًا إلى تلك الأوضاع الضرورية أولًا وبالذات». اهـ.

أجابوه: أن النظم التي جاءت في الكتاب - أي والسنة - كفت وتكفي ما جد وما يجد من العلاقات بتطبيقها وإجمالها وبما فيها من مبادئ وأصول، ولم يكن التشريع مقصورًا على الضروري من زمن البعثة فقط في الجزية وأمثالها - أي والهدنة والصلح والمعاهدة - بل وضعت نظامًا ينفذه من يأتي بعده.

وفي (ص ٣٦- س ٢): قال: «وصارت بذلك بعد أن كانت أمة دينية بمكة ارتقت في المدينة إلى صورة سياسية ساذجة؛ دولة سياسية عالمية».

وأجابوه في (ص ٣٦): الأمة الإسلامية في مكة والمدينة أمة دينية سياسية على السواء، وإن كانت السياسة في المدينة غيرها في مكة، والسياسة والدين في الإسلام ممتزجان. هـ.

يريدون أن الإسلام في مكة كان يؤسس أصول الدين من توحيد الله تعالى والإيمان بوحيه ورسله واليوم الآخر بين قوم مشركين لا يؤمنون بذلك، فكان عمله معهم إقامة الحجة والبرهان على أصول الدين، وبيان ضلال المشركين وجهلهم، وما أعد الله من الثواب لمن آمن والعقاب لمن كفر.

ولما انتقل إلى المدينة شرع له أحكام العبادات من زكاة وصيام وحج وجهاد ومعاملات، والكل شرعه في مكة والمدينة جاء على سنة النمو والارتقاء والتشريع بحسب الحكمة وحاجات الناس ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٩).

(كـح) (ص ٣٥- س ٩): قـال: «وكـذلك كانـت في الوقـت نفـسه تقـنن مسائل الحياة العملية وأشكال العبادات في أصول ضرورية تقنينًا متأرجحًا غير ثابت». اهـ

أجابوه (ح ١٠٥): الأسس التي يحتويها الكتاب والسنة مبادئ وأصول عمل بها الفقهاء في التقنين لما جدَّ، على أن يفرعوا منها النظريات الفقهية ولا يخرجوا عليها، وليس لهم أن ينتقلوا بها أو يعدلوها ويطوروها بحسب الأحوال المستحدثة، وأشكال العبادات الأصلية لا اجتهاد فيها، إنما الاجتهاد في أشياء تتعلق بها سكت عنها وتجاذبتها أصول مختلفة في الدين، فالفقهاء عملهم الاجتهاد والترجيح، وقد تعبدهم الله وتعبد أتباعهم بما يفضي إليه اجتهادهم بعد أن يبلوا في النظر.

(ص ٣٦- س ١٤): قال: «وهكذا يظهر غير صحيح ما يقال من أن الإسلام في كل العلاقات جاء إلى العالم طريقة كاملة، بالعكس، فإن الإسلام والقرآن لم يتما كل شيء وكان الإكمال نتيجة لعمل الأجيال اللاحقة».

أجابوه في (ص ٣٦): جاء الإسلام في كل العلاقات بطريقة كاملة في المبادئ والأصول، وهذا ما ينتظر من القانون والنظام أن يحتوي الكليات ويترك الجزئيات والتفصيل للقائم بالفهم والتنفيذ، وقد يكون في ذلك مجالًا للاختلاف، وهذا لابأس متى كان رائدًا لجميع فهم النصوص وتحقيق الحوادث بملبغ الاجتهاد والبعد عن الهوى. اهـ.

(كط) (ص ٦٧): الفصل الثالث: (نمو العقيدة وتطورها).

قال (س٣): «ليس الأنبياء من رجال علم الكلام، فالرسالة التي يأتون بها بدافع إدراكهم المباشر، وكذلك المعارف الدينية التي يوقظونها لا تتمثل كهيكل مذهب مبني طبعًا لخطة فيها مقدمًا، بل كثيرًا ما تتحدى كل محاولة للتنسيق المذهبي». اهـ.

أجابوه في الحاشية بقولهم: عقيدة المؤلف كغيره من المستشرقين أن ما يأتي به الرسول من عنده، ومن ثم فكلامه عرضة للتناقض والاضطراب وإن

ما جاء به لا يقوى أن يكون مذهبًا قويمًا منسجمًا من أول الأمر شأن كل عمل يصدر عن البشر.

والمؤمنون ويؤازرهم كثير من المستشرقين المنصفين يؤمنون أن ما جاء به الرسول وحي من الله لا يعتريه خلف ولا بطلان، والقرآن مشحون بتثبيت هذه العقيدة.

وفي نصوص الوحي ما يحتمل وجوهًا من المعاني وما هو مصروف عن ظاهره بما نصب من القرائن والملابسات، وفيها نصوص مجملة تحتاج إلى الفحص عن المراد منها والتماس ما يوافق السياق، وقد وكل هذا كله إلى العلماء والفقهاء في الدين الفاهمين عن الرسول عليه الصلاة والسلام ومن حذا حذوهم، وكان من آثار ذلك أن اتسعت مدارك الفقهاء وتربى المجتهدون والمستنبطون، وكان العلماء مفزع الأمة في الاختلاف مما عرفوا من الشريعة وهدوا إليه من الدين.

قلت: جاء في حديث جندب بن عبد الله البجلي: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلت: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: «**عليكم بالسمع والطاعة وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»(١).

وفي الحديث الآخر: «.. **تركتكم عليها بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»(٢)، وفي الحديث: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله**»، وفي بعض الروايات: «**وسنتي**»(٣).

---

(١) أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣) من حديث العرباض بن سارية.

(٢) ابن حزم في الإحكام ٦/ ٢٤٣ بهذا اللفظ، وأخرجه أحمد ٣/ ٥٩، والترمذي (٣٧٨٨) بنحوه.

(٣) أحمد (٤/ ١٢٦)، وابن ماجه (٩٩٦) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.